# المحور الخامس

## القدوة الحسنة

قال الله جل وعلا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [ الأحزاب :٢١] .

هذه الآية الكريمة أصل كبير فى التأسى برسول الله ﷺ فى أقواله وأفعاله وأحواله ، فى صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل . والأسوة ما يتأسى به أى يتعزى به ، فيقتدى به فى جميع أفعاله ، ويتعزى به فى جميع أحواله ، فلقد شج وجهه ، وكسرت رباعيته ، وقتل عمه حمزة ، وجاع بطنه ، ولم يلف إلا صابرا محتسبا ، وشاكرا راضيا . وعن أنس ابن مالك عن أبى طلحة قال : « شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا بطوننا عن حجر فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين » (١) .

وقال ﷺ لما شج : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » .

لقد كان النبى ﷺ على الرغم من الهول المرعب ، والضيق المجهد ، مثابة الأمان للمسلمين ومصدر الثقة والرجاء والاطمئنان . ويوم الخندق خرج عليه الصلاة والسلام يعمل فيه مع المسلمين ، يضرب بالفأس ، ويجرف التراب بالمسحاة ويحمل التراب فى المكتل ويرفع صوته مع المرتجزين ، وهم يرفعون أصواتهم بالرجز فى أثناء العمل فيشاركهم الترجيع . . فأى طاقة يطلقها هذا الجو فى أرواحهم ، وأى ينبوع يتفجر فى كيانهم بالرضى والحماسة والثقة والاعتزاز !

قال ابن إسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسى أنه قال : ضربت فى ناحية من الخندق ، فغاظت على صخرة ، ورسول الله ﷺ قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على نزل فأخذ المعول من يدى ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، قال : ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقه أخرى، قال: ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقة أخرى . قال : قلت : بأبى أنت

(١) أخرجه أبو عيسى الترمذى وقال : حديث غريب .

وأمى يا رسول الله ؛ ما هذا الذى رأيت ، لمع المعول وأنت تضرب ؟ قال : «أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟» قال : قلت نعم قال : « أما الأولى فإن الله فتح على بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق " (١) ولنا أن نتصور اليوم كيف يقع مثل القول فى القلوب، والخطر محدق بها محيط . وكيف كانت روحه ﷺ تستشرف النصر ، وتراه رأى العين فى ومضات الصخور على ضرب المعاول ، فيحدث بها المسلمين ويبث فيهم الثقة واليقين .

إن الذى يلفت النظر فى حياة رسول الله ﷺ هو ذلك الجمع الغريب بين العبادة التى بلغ أعلى مراتبها ، وبين القيام على أمور الدنيا وشؤون الدولة الإسلامية وقضايا الجهاد . . كان يناضل أمة بأكملها ، ويسوس دولة فتية فى وجه العالم الجائر ، يوفد إلى الملوك ويدعوهم ، ويستقبل الوفود ويكرمهم ويبعث السرايا ويقودها ، ويجادل من حوله من الأديان وأهل السلطان ويهيئ للنصر ويحتاط للهزيمة ، ويبعث العمال ، ويجبى الأموال ، ويقسمها بنفسه ويقول : «إن لم أعدل فمن يعدل ؟ » .

ويشرع للناس دين الله ، فيفصل المجمل من الوحى ، ويوضح الغامض ، ويرسم السنن ، فيخرج من الأصل فروعا ، ويرد ما لم يطلعه الله عليه إلى ما أطلعه عليه ، وهو فى كل ذلك يؤدى عمله اليومى الذى ينوء به أبطال هذه الدنيا. و بين هذه الهموم والمشاغل يتجلى النبى ﷺ الناسك العابد بالليل والنهار أعظم انقطاعا إلى الله ممن انقطعوا إليه فى الصوامع وفى رؤوس الجبال . هذا الجمع بين الدين والدنيا يجعل من القدوة الحسنة قائما بنفسه فى تاريخ البشرية منقطع النظير. .

وكيف لا يكون ﷺ فى أعلى مراتب العبادة وهو المنفذ لكل ما أمره الله به من تهجد وعبادة وتسبيح وذكر ودعاء .

وكيف لا يكون ﷺ فى أعلى مراتب الزهد وقد قام على حصير أثر فى جنبه

(١) فى ظلال القرآن ٢١/ ٢٨٤٢ .

فقال عبد الله بن مسعود : لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه؟ فقال ﷺ : « ما لى وللدنيا ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » وهو ﷺ القائل :« اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا » . وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تقول لابن أختها عروة : « يابن اخى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين ، وما أوقدت فى بيوت رسول الله ﷺ نار ، فقال عروة : يا خالة ما كان عيشكم ؟ قالت : الأسودان التمر والماء إلا أنه كان لرسول الله جيران من الأنصار لهم منائح (١) وكانوا يمنحون رسول الله من ألبانها فيسقينا» (٢) . وروى ابن جرير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ما شبع رسول الله ﷺ من خبز بر ( أى حنطة ) ثلاثة أيام تباعا منذ قدم المدينة حتى مضى لسبيله » وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : إن فاطمة رضي الله عنها ناولت النبى ﷺ كسرة من خبز الشعير فقال لها : «هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام».

وكيف لا يكون النبى ﷺ فى أعلى مراتب الزهد وهو المنفذ لما أراده الله منه وما خاطبه به : ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ﴾ [ الضحى : ٣ ] ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[ طه : ١٤١] إن رسول الله ﷺ حين أقام نفسه على خلق الزهد والقناعة وعيش الكفاف لم يرد من ذلك أن يحرم على نفسه وأهله زينة الله التى أخرجها لعباده والطيبات من الرزق ، ولم يكن زاهدًا لفقر أو ضيق أو قلة طعام . . ولو أراد مباهج الحياة والإكثار من الطيبات والتمتع بزهرة الحياة الدنيا لجاءته الدنيا طائعة صاغرة مختارة ولكن أراد من زهده وتعففه عليه الصلاة والسلام أمورا أهمها :

**أولا** : أن يعلم الأجيال المسلمة بزهده هذا معنى المحبة والبذل والإيثار . فقد روى البيهقى عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية، ولو شئنا لشبعنا ، ولكنه كان يؤثر على نفسه » . وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة .

---

(١) منائح جمع منيحة وهى الشاة تعار لينتفع بها .

(٢) رواه البخارى .

**ثانيًا** : أنه أراد ﷺ أن يعطى القدوة الحسنة لقادة ومسؤولى الأمة الإسلامية والقائمين بأمور المسلمين كى يعيشوا بسطاء ، ويتجنبوا حياة البذخ والإسراف ويفكروا فى الفقراء والمساكين .

فى مجال الثبات على المبدأ ما كان يصده ﷺ عن دعوته الرياح الهوج مهما عصفت ، وكلما اشتدت عليه الأهوال ونزلت فى ساحته المصائب ازداد صلابة وإيمانا ، وامتلأ عزما ويقينا ، فلا يجد من سبيل سوى أن يناجى ربه داعيا ، ويستعطفه راحما ، ويرجوه ناصرا ويقول : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى . ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الكريم الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وعندما آذته قريش بأنواع الإيذاء وأصناف الآلام حتى بلغت بهم الوقاحة أنهم ضربوه بالحجارة وعفروا رأسه بالتراب ، فأتت إليه ابنته فاطمة تزيل عنه التراب وهى تبكى ، وليس أوجع لقلبه الكبير أن يسمع بكاء الأنوثة بكاء فاطمة التى كان دمعها يسيل من المآقى قطرة قطرة فتهوى على قلبه الرحيم عطفا وحنانا ، ومع هذا فقد خاطبها بقوله : لا يا فاطمة فإن الله مانع أباك ، والله ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » . وكلنا نعلم موقفه من عمه أبى طالب عندما ظن أنه مسلمه ومتخل عن نصرته ، قال : « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » فلما رأى عمه عزمه الصادق وثباته الراسخ ناداه قائلا : « اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فو الله لا أسلمك لشىء أبدا » .

ولما عاد رسول الله ﷺ من الطائف ومعه زيد بن حارثه يريد دخول مكة ، فقال له زيد : كيف تدخل عليهم يا رسول الله وهم أخرجوك ؟ فقال ﷺ: « يا

زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا ، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه » (١) .

وإذا فإن ذلك الذى رآه وعاناه فى الطائف بعد القسوة والعذاب اللذين رآهما فى مكة لم يكن له أى تأثير على ثقته بالله تعالى أو على قوة العزيمة الإيجابية فى نفسه .

ولا والله ليست هذه عزيمة بشر آتته الطبيعة مزيدا من التحمل والقوة والإرادة، ولكنه يقين النبوة كان ثابتا فى قلبه ﷺ فهو يعلم أنه إنما ينفذ أمر ربه ، ويسير فى الطريق التى أمره الله أن يسير فيها ، ومما لا ريب فيه أن الله بالغ أمره وقد جعل لكل شىء قدرا .

لقد سلكوا مع النبى ﷺ شتى الوسائل ، ومختلف الأساليب ليثنوه عن دعوته ويصدوه عن أداء رسالته فما تأثر ولا استجاب ولا استسلم ، فسلكوا طريق الإغراء والإغواء فما استكان وما خضع ، وسلكوا طريق الضغط القلبى والنفسى فما وهن وما استكان ، وسلكوا طريق الاستهزاء والإعراض والسخرية وإشاعة التهم فما استكان وما خضع ، وسلكوا معه طريق المقاطعة الشاملة له ولمن آزره ، بل قرروا ملاحقته واغتياله فما استكان وما خضع ، امتثالا لأمر الله تعالى القائل: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [ الحجرات : ٩٧ ـ ٩٩ ] .

بهذا التوجيه بنى القرآن الكريم فى نفس الرسول ﷺ تلك المقاومة الصلبة لكل ما واجهه ، وبنفس ذلك التوجيه تبنى فى نفوس أهل الحق والإيمان الصلابة والمناعة ضد ما يوجه لهم من استهزاء ، وما يثار حولهم وحول عباداتهم من أقاويل واتهامات .

وقد آتى التوجيه أكله ، فاتسع قلب رسول الله ﷺ لأهل مكة قاطبة وهم الذين كذبوه وأهانوه وعذبوا أتباعه وطردوه ولم يكتفوا بذلك بل جمعوا له العرب من كل حدب وصوب حتى غزوه فى محل هجرته ، ومثلوا بعمه أقبح تمثيل ، ثم منعوه من دخول مكة لأداء مناسك الحج ، وفعلوا معه ما لا تبيحه أعراف العرب

(١) فقه السيرة ص١٣٨ .

وعاداتهم فلما أظهره الله عليهم يوم الفتح قال لهم : « ما تظنون أنى فاعل بكم؟»قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال ﷺ : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

إنها صورة الإيمان الواثق المطمئن ، وصورة المؤمن المشرقة الوضيئة فى مواجهة الهول ، وفى لقاء الخطر الذى يزلزل القلوب المؤمنة ، فتتخذ من هذا الزلزال مادة للطمأنينة والثقة والاستبشار واليقين . فلا تصدها المحن والعقبات التى تكون فى طريق الدعوة الإسلامية عن السير ، ولا تبث فيها روح الدعة والكسل ما دامت تسير على هدى من الإيمان بالله وتوفيقه ، فمن استمد القوة من الله جدير به ألا يعرف لليأس والكسل معنى ، إذ ما دام هو الآمر ، فلا شك أنه هو الناصر أيضًا.

**العظة البالغة :**

ثم انظر ـ تولى الله رشدك ـ إلى قدوة أخرى ترى يوسف عليه السلام قد تقلب فى حالتى البؤس والرخاء ، وهو دائما كالذهب الإبريز لا يزيد على التقلب فى النار إلا صفاء ، أو كالياقوت لا تؤثر فيه النيران فبينما هو فى كنف أب يؤثره بالكرامة ويحوطه بالمحبة ، ويخاف عليه من الليل إذا عسعس ، ومن الصبح إذا تنفس ، إذ هو فى يد إخوته يسلقونه الإهانة والمذلة ، يضربونه ظالمين ويلقونه فى غيابة الجب غير نادمين وبينما هو على هذه الحال ، إذ يشع نسيم الحياة من جديد، ولكنه حياة الرق والعبودية ثم انتقل إلى عبودية هى أشبه بالحرية ، إذ صار رئيس العبيد والخدم فى بيت سيده وبينما هو فى هذه النعمة يغبطه عليها كثير من الأحرار ، إذ هو فى غيابة السجن بلا ذنب اقترف ، ولا جريمة اجترح وبينما هو فى هذه الحال إذ هو فى السجن مبشر دين يدعو إلى عبادة الله ، ويصد الناس عن كل ما سواه من الأرباب المتفرقين ، وإذا هو يقسم الحظوظ ، ويخبر بالأشياء الغائبة ، ثم ترقت به الحال إلى أن صار مُعبِر منام الملك ، ونذيره بقحط عقب رخاء يعم كل منهما البلاد ، فيصير على خزائن الأرض ، واصطفاه لنفسه واستخلصه لمملكته ، فصار قسيم الملك ، وكافل المملكة ، وعليه إعاشة مصر والبلاد القريبة منها فهو وزير التموين ، وبينما هو على هذه الحال لا ينقصه إلا أن يشاهد أباه وأمه ـ خالته ـ إذ بإخوته قد وقعوا فى شركه ، فداعبهم أجمل

مداعبة، وعبث بهم عبثا كله جد ، واحتال عليهم حتى أتوه بأخيه لأمه وأبيه، ثم أتوه بأهليهم أجمعين ، وهو فى هذه الأحوال كلها متمسك بأكمل الخصال وجميل الأخلاق بشهادة العدو والصديق :

شهادة امرأة العزيز تجلت فى قولها : ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِه وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [ يوسف : ٥١] ، وشهادة صاحبى السجن تجلت فى قولها : ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِه إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [ يوسف : ٣٦] وشهادة الذى نجا منهما تجلت فى قوله : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي ﴾ [ يوسف : ٤٦] وشهادة الملك تجلت فى قوله : ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [ يوسف : ٥٤] وشهادة إخوته وهم له منكرون تجلت فى قولهم : ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٧٨] وشهادة إخوته وقد عرفوه تجلت فى قولهم : ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [ يوسف : ٩١] وشهادة الله تعالى ليوسف تجلت فى قوله جل وعلا : ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [يوسف : ٦] ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [ يوسف : ٥٦] وشهادة يوسف على نبل نفسه وسموها تجلت فى قوله : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [ يوسف : ٩٢] وصدق القائل حين قال :

وإن امرؤ دامت مواثق عهده  على مثل هذا إنه لكريم

فهذه القصة عبرة وعظة بالغة لا تلمح العبرة منها كل عين ناظر إليها ، ولا ينفذ إلى لبابها كل قارئ لها ، ولكنها كما قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [ يوسف : ١١١] .

**فضيلة الشكر عند نبى الله داود عليه السلام :**

داود اختاره الله ليفعل العجائب بيده ، ولم يكن من أهل تلك العجائب لأنه كان غلاما راعيا للغنم ، فقتل الله على يده جالوت الجبار الذى تحامته الأبطال ، ولم يقاتله بسيف ولا رمح ، ولم ينزل عليه بدرع ولا ترس ، وإنما قتله بحجر أرسله من المقلاع . فكان ذلك أدل على قهر الله تعالى للجبابرة بأحقر الأشياء على يد أضعف العباد . والذى نستخلصه من القدوة الحسنة لداود عليه السلام أن

الشخص الضعيف لا ينبغى له أن ييأس من النجاح وإحراز أسباب الفلاح ما دام متمسكا بأسباب التقوى والشكر لنعم الله تعالى .

إن انتصار داود على جالوت لم يغير من طباع داود ، ولم يذهب به مذهب أهل الكبرياء ، بل لم يزده هذا الأمر إلا تواضعا . وكأن الله يرفعه درجات كلما تواضع وشكر .

إن طاعة الله وشكر نعمه مما يوجب المزيد منها . فالله تعالى لما رأى طاعة داود وشكره زاده من نعمه فألان له الحديد ، وعلمه صنعة الدروع لتحصن الناس من البأس ، وأنعم عليه بولده سليمان الذى ورثه ملكه وعلمه حكمته .

والشكر لا يصدر إلا من ذوى الأسوة الحسنة لأنه من أخلاق الربوبية كما قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [ التغابن : ١٧] والشكر هو النعمة الحاصلة من المنعم سبحانه والفرح بها ، والقيام بمقصود المنعم والعمل بما يحبه ، وهذا الخلق نادر فى الناس. اقرأ إن شئت قول الله سبحانه حكاية عن إبليس : ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [ الأعراف : ١٦، ١٧] وهذا وإن كان قولا لإبليس ولكن الله تعالى صدقه فى قوله : ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [ سبأ : ١٣ ] .

والمتتبع لسير العباقرة يجدهم شاكرين صابرين . أما فضيلة الشكر فرسول الله ﷺ وقد قالت له عائشة رضي الله عنها : أتبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيجيبها قائلا : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » . وإبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام قال عنه تعالى : ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [ النحل : ١٢١ ] ويوسف عليه الصلات والسلام تحدث بنعم الله عليه فهو من الشكر فقال الله على لسانه: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ [ يوسف : ١٠٠ ] وكذلك الرسل جميعًا تحدثوا بنعم الله عليهم وحدثوا بها قومهم : فرسول الله هود عليه السلام لقومه : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٧٩] ورسول الله صالح عليه السلام قال لقومه : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن

سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٤] .

وأما فضيلة الصبر فلقد كان الهول الذى واجهه الأنبياء وأتباعهم من الضخامة بمكان وكان الكرب الذى واجهوه من الشدة بمكان ، بحيث زلزلهم زلزالا شديدا: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٤٦، ١٤٧] .

لقد كان إلى جانب الزلزلة وزوغان الأبصار ، وكرب الأنفاس الصلة التى لا تنقطع بالله ، والإدراك الذى لا يضل عن سنن الله ، والثقة التى لا تتزعزع بثبات هذه السنن وتحقق أواخرها متى تحققت أوائلها ، ومن ثم اتخذ المؤمنون من شعورهم بالزلزلة سببا فى انتظار الفرج ، ذلك أنهم صدقوا قول الله سبحانه : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] .

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ  يبارك على أوصال شلو ممزع

وصدق من قال : « أبالموت تخوفنى ؟ ما أدرى ما أقول لك . . ولكنى أقول لك ما قال أخ الأوس لابن عمر وهو يريد نصرة رسول الله ، فخوفه ابن عمر وأنذره أنه لمقتول ، فأنشده :

سأمضى وما بالموت عار على الفتى  إذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه  وخالف مثبورا وفارق مجرما
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم  كفا بك ذلا أن تعيش وترغما

إن الشهادة خلقت ليعجب الناس بها ، ويتطلعوا لأصحابها ، لأن بها يتجاوز الإنسان عملية فذة لا يقدم عليها إلا رجال خلقوا لأمثالها ، فلا تخطر لغيرهم على بال ، لأنها عملية تعلو على حكم الواقع القريب لتسمو إلى الملكوت الأعلى، وتدون فى عالم الخلود . . . إنها ليست صفقة مساوم من مساومى التجار

ولا ضربة مغامر من مغامرى السياسة ، ولا وسيلة متوسل ينزل على حكم الدنيا أو تنزل الدنيا على حكمه ، ولكنها وسيلة من باع نفسه لله وحده بمبدأ هو مؤمن به ، ومؤمن بوجوب إيمان الناس به دون غيره ، فإن قبلته الدنيا قبلها وإن لم تقبله قارعها بالسيف والحجة البالغة فتنتهى المعركة بموته أو موت الحياة الظالمة الآثمة ولعل فوزه بالموت أشهى اليه من الدنيا وما عليها .

فعلى هذه القاعدة لا يحق لخادم زمانه أن ينازع الشهداء فى ذخيرة العطف الخالد وهم خدام العقيدة التى تتخطى حياة الاجيال والأفراد لأن حرمان الشهداء حقهم فى عطف الأسلاف وجليل أعمالهم خطأ عظيم . فالشهادة فضيلة تروح وتأتى وتكثر حينا وتندر فى بعض الأحيان ، لكنها تنعدم تماما فى حب الدعة والاسترخاء ، والرضى بالذل والهوان ، فعندئذ يجفل المرء من الشهادة استعظاما للقدوة بها ، واستهوالا لتكاليفها فيتهم الشهداء بالتهور ، والإلقاء بالنفس إلى التهلكة لكى ينجو الناقد القاعد بنفسه من الجبن الذى يستعبده ، والمذمة واللوم اللذان تملكاه فيرضى بذلك ضميره ونفسه . وهل يستوى القاعد والمجاهد ؟ لا يستويان مثلا . قال الله تعالى : ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء : ٩٥] ، ولعل سر هذا التفضيل العظيم وتلك الدرجات العلى . يكمن فى القدوة الحسنة التى صنعها المجاهد ، والمثل البطولى الذى ضربه ، وليس فى الدنيا ابتلاء أعظم من أن يبتلى المرء فى نفسه وأهله وماله ، والله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه .

قال رسول الله ﷺ : « فو الذى نفسى بيده إن الله يبتلى المؤمن فما يبتليه إلا لكرامته عليه ، لأن الله قد أنزل عبده منزلة لم يبلغها بشىء من عمله دون أن ينزل به من البلاء فيبلغه تلك المنزلة » [(١)] وقال قتادة رحمه الله : حدثنى رسول الله ﷺ : « تنصب الموازين فيؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين

(١) الاستيعاب .

وكذلك الصلاة والحج ، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ، ولا ينشر لهم ديوان ، ويصب عليهم الأجر بغير حساب ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل » (١) . لأنهم استعذبوا المحنة فى ذات الله . فقد كان بلال ﷺ يأبى على الكفار العودة إلى دينهم . وهم يعذبونه وهو يقول : أحد أحد . ويقول : « لو أعلم كلمة أغيظ لكم منها لقلتها» وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه » (٢) .

**سبيل الوصول الى القدوة الحسنة:**

لعل أهم السبل الموصلة إلى رضا الله تعالى وضرب الأمثال الرائعة لما يستقبل من أجيال يكمن ـ بعد توفيق الله وإذنه ـ فى الآداب التالية :

**أولاً : اتخاذ مثل أعلى فى الحياة :**

يقول تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ [الممتحنة : ٦]

يقول الأديب الكبير أحمد أمين : « وخير وسيلة للنجاح فى الحياة أن يكون للشاب مثل أعلى عظيم ، يطمح إليه وينشده ويضعه دائما نصب عينيه ، ويسعى دائما فى الوصول إليه ، أن يكون عالما عظيما أو صانعا عظيما أو فنانا عظيما، فمن قنع بالأدنى لم يصل إلى شىء سواه . . ونحن نشاهد أن كل من رسم لنفسه غرضا يسعى إليه ، وأخلص له واستوحاه ، واجتهد فى بلوغه نجح فى حياته ، فإن لم يدرك الغاية كلها أوفى عليها أو كاد . . .

كل إنسان فى هذه الحياة قادر ـ إلى حد ما ـ أن يصنع حياته فقيرة أو غنية خصبة أو مجدبة ، سعيدة أو شقية ، باسمة أو عابسة . نعم إن ارادة الإنسان وعزمه ، وتربيته نفسه قادرة قدرة كبيرة أن تتغلب على كثير من العقبات فهما لا تعوقانه عن إسعاد حياته إذا منح الهمة الطموح ، والإرادة الغلابة والتفكير الصحيح المتوثب . . ومجال القول فى ذلك فسيح ولكنى أكتفى منه هنا بكلمات:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٥٧ .

(٢) رواه البزار والطبرانى .

« لا تيأس ، وتوقع الخير فى غدك ، ولا تقطب جبينك زاعما أن غيرك قد منحه وليس لك منه نصيب ، ووسع أفقك ، واعتقد أن العناية الإلهية لن تحرمك ثمرة كفاحك . فاعتقادك أن لا مستقبل لك ، ولا أمل فى حياتك ولا خير ينتظرك سم زعاف يضنى الإنسان حتى يميته . وعلى النقيض من ذلك توقعك الخير ، وأملك فى الحياة ، فإنهما يوسعان أفقك ، ويحفزانك إلى تنمية معارفك وخبراتك ، وإلى الجد فيما تختاره لنفسك من صنوف العيش ، وإلى استخدام المادة التى فى يدك خير استخدام .

إن كثيرا من الشباب يعتقدون أن هناك من منحوا قدرة على أن يبزوا غيرهم بلا جهد وأن يأتوا بالعجائب من غير مشقة وأن يجعلوا التراب ذهبا بعصا سحرية ، ولكن هذه كلها أفكار تثبط عن العمل وعن النجاح» [١] فكل من ساروا فى طريق العمل بدؤوا حياتهم بنوع من الإشفاق والتوجس والحذر . ومن نجح منهم فإنما نجح لأنه بعد أن بدأ حياته أحس أن فى يده مصباحا من نفسه يضئ له الطرق ويستحثه على السير ، وكلما تقدم إلى الأمام خطوة استحثه عزمه على متابعة الخطو فى غير خوف ولا ملل ومتى أراه مصباحه أنه سائر على هدى وعلى صراط مستقيم لم يسترب فى سيره ولن يتعجل النجاح ، واستمر فى طريقه حتى يبلغ الغاية .

« إن من أكبر أسباب الإخفاق ـ يقول أحمد أمين ـ أن نخلق لأنفسنا أعذارا وأوهاما وعوائق حتى تكون لنا سدا كبيرا ، حجارته حينا سوء الظن ، وحينا تخذيل النفس ، وأحيانا الشك فى العاقبة ، أو الخوف من العثار والسقوط ـ إلى غير ذلك من أسباب ـ وما تزال هذه تتراكم حتى تحجب الشمس عن أعيننا ، فلا نرى خيرا ولا نرى غاية مشرفة . . .

إن هذا المثل الأعلى الذى ينشده الشاب الصالح الطموح يجب لا يكون المال وحده ، وما يأتى عن طريق الاحتيال واستغلال الآخرين ذلك وسيلة من الوسائل المسفة، والنجاح المؤسس عليها نجاح رخيص . إنما النجاح الحق أن يجمع الشاب إلى نجاحه فى عمله نبله فى خلقه ، وصدقه وأمانته وعطفه ، وتسامحه ،

(١) فيض الخاطر ج ٦/ ٢٤١ .

وبره بالضعفاء وذى الحاجة . فلم يخلق الناس حوله ليكونوا مادة لاستغلاله ، إنما خلقوا ليتبادلوا معه المنافع والخير العام . . ليس الإنسان حيوانا حسبه أن يأكل ويشرب . . إنما هو فوق ذلك إنسان يستمتع بحب الخير ، وإدراك جمال الدنيا، وجمال الفعل والقول ، ويشعر بسمو أحاسيسه وخواطره.

إن الغنى إذا طلب يجب أن يطلب إلى جانبه غنى النفس ، وتسليحها بحب الخير والعمل فى سبيله . فما قيمة أموال تكدس إذا صَاحبها فقر الإرادة وهون النفس؟ وأى غنى نقى لا ينبنى على التسامى والخير ، والرحمة والأخذ بيد الضعيف ؟ إن الغنى إذا تجافى عن هذه المثل الكريمة كان باليا بائدا ومن أهم الأمور فى صنع حياتك ـ يقول أحمد أمين ـ ثقتك بنفسك ، واعتقادك فيها أنها صالحة للكفاح مهيأة للنجاح ، فليس أضر بالإنسان من احتقاره نفسه واعتقاده عجزه.

« وعليك أن تبتسم للحياة ، فالابتسام لها ينشط العقل ، ويبدد المتاعب الثقال، ويضىء النفس بالتفاؤل والثقة والعزم ، ويكشف للإنسان عن جمال الدنيا وجوانبها المشرقة .

« إن رحابة أفقك وتحديد مثلك الأعلى ، وطموحك إليه ، وثقتك بنفسك ، واحترامك لها . . ثم تفاؤلك وابتسامك هى الخيوط التى يجب أن تنسج منها حياتك وما أحسنه من نسيج . . إنك إن فعلت ذلك كان خيرا لك ولأمتك ، وكان نجاحك عظيما . . » [1] .

**ثانيا : إقران القول بالعمل :**

القدوة الحسنة بمن إن قال قولا حققه بفعله ، وإذا تكلم بكلام صدقه بعمله. فإن إرسال القول اختيار ، والعمل به اضطرار ، ولأن يفعل مالم يقل أجمل من أن يقول مالم يفعل . وقال بعض الحكام : « أحسن الكلام مالا يحتاج فيه إلى الكلام » ، أى يكتفى بالفعل من القول .

---

(١) فيض الخاطر ٦ / ٦٤١ .

وقال محمود الوراق : القول ما صدقه الفعل ، والفعل ما وكده العقل

لا يثبت القول إذا لم يكن يُقله من تحته الاصل

وقد عاتب الله المؤمنين الذين يقولون ما لا يفعلون فى قوله سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف : ٢] وذم قوما يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، وأنكر على بنى إسرائيل أمرهم الناس بالبر والمعروف ونسيان أنفسهم. فقال سبحانه : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة:٤٤] وأحسن الشاعر حين قال :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك تعذر إن وعظت ويقتدى بالقول منك ويقبل التعليم

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فليكن من شيمتك العمل بعلمك ، وحث النفس على أن تأمر بما تأمر به ، ولا تكن ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾ [الجمعة:٥] قال قتادة رضي الله عنه فى قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ** ﴾ [يوسف : ٦٨] إنه العامل بما علم »[١] وقال الخضر لموسى عليه السلام: « يا ابن عمران تعلم العلم لتعمل به ، ولا تتعلمه لتحدث به ، فيكون عليك بوره ولغيرك نوره » . « وإنما زهد الناس فى طلب العلم لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم »[٢] ورضى الله عن أبى الدرداء حين قال : « أخوف ما أخاف إذا وقفت بين يدى الله أن يقول : قد علمت فماذا عملت » ومن قال ما لا يفعل فقد مكر ، ومن أمر بما لا يؤتمر به فقد خدع ، ومن أَسَرَّ غير ما يظهر فقد نافق وأحسن الشاعر حين قال :

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٥١ .

(٢) الكلام لعلى بن أبى طالب، انظر : أدب الدنيا والدين ص٥٢ .

عَوِّد لسانك قلة اللفـــظ واحفظ كلامك أيما حفـــظ

إياك أن تعظ الرجال وقد اصحبت محتاجا إلى الوعظ

وبما أن الكمال لله تعالى ، وكل ابن آدم خطاء فإن الإنسان مهما بلغت منزلته مستحيل أن يحيط بكل شيء علما أو تطبيقا . قال الحسن لمطرف بن عبد الله: «عظ أصحابك » فقال : « إنى أخاف أن أقول مالم أفعل » قال: « يرحمك الله ؛ وأينا يفعل ما يقول ؛ ويود الشيطان أن قد ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف، ولم ينه عن منكر » .

وقال مالك عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن : « سمعت سعيد بن جبير يقول: « لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر » قال مالك : « وصدق من ذا الذى ليس فيه شيء » [١] .

**ثالثا : الاعتبار بمن مضى :**

واستخلاص الدروس والعظات من الوقائع والأحداث ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣] أخبر الله سبحانه أنه ضرب الأمثال لعباده ، فى غير موضع من كتابه ، وأمر باستماع أمثاله ، ودعا عباده الى تعقلها ، والتفكير فيها ، والاعتبار بها ، وهذا هو المقصود بها .

« وقد فطر الله سبحانه عباده على أن حكم النظير حكم نظيره ، وحكم الشيء حكم مثله وعلى إنكار التفريق بين المتماثلين ، وعلى إنكار الجمع بين المختلفين ، والعقل والميزان الذى أنزله الله سبحانه شرعا وقدرا يأبى ذلك . ولذلك كان الجزاء مماثلا للعمل من جنسه فى الخير والشر ، فمن ستر مسلما ستره الله ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ضار

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٥٠ .

مسلما ضار الله به ، ومن شاق شاق الله عليه . ومن خذل مسلما فى موضع يحب نصرته فيه خذله الله فى موضع يحب نصرته فيه ، ومن سمّع سمّع الله له، والراحمون يرحمهم الرحمن ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ، ومن أنفق أنفق الله عليه ، ومن جمع فأوعى أوعى الله عليه ، ومن عفا عن حقه عفا الله عنه ، ومن تجاوز تجاوز الله عنه ، ومن استقصى استقصى الله عليه ، فهذا شرع الله وقدره ، ووحيه وثوابه وعقابه ، كله قائم بهذا الأصل وهو إلحاق النظير بالنظير ، واعتبار المثل بالمثل » (١) .

لقد ذكر القرآن الكريم كثيرا من سير العباد وآثارهم فى مواضع منه متفرقة ، بعضها حدد مكانه وزمانه وشخوصه ، وبعضها أشار إليه بدون تحديد ولا تفصيل والعاقل من اتعظ بغيره .

إن ما جرى للمكذبين بالأمس سيجرى مثله للمكذبين اليوم وغدا . اقرأ قوله تعالى عن قوم لوط : ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [ هود : ٨٢ ، ٨٣ ] فالحذر الحذر ـ تولى الله رشدك ـ من الانزلاق مع المكذبين . وما جرى للمؤمنين الصادقين بالأمس من كرامات وانتصارات سيجرى مثله للمؤمنين الصادقين اليوم . اقرأ قوله تعالى : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨] .

إن السنن التى ألحقت النقص والفساد والهلاك بالأمم السابقة ، إذا توفرت فى الجماعة المسلمة ألحقت نفس الفساد والهلاك بتدينها . وإن القصص التى يذكرها القرآن لفساد التدين دليل على نفاذ السنن ، ومضيها فى البشر أينما كانوا وحيثما كانوا ، ومهما كانت عقائدهم الأصلية لأن الله سبحانه وتعالى لا يحابى أحدا : ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [ فاطر : ٤٣ ] ، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [ آل عمران : ١٥٩ ] .

إن بيان علل التدين فى الأمم السابقة ـ كما ورد فى القرآن ـ وما خضعت له من سنن لابد من استيعابها لتصبح ثقافة شاملة لأبناء أمة الرسالة الخاتمة، فيأخذوا

(١) أعلام الموقعين ١/١٩٦ .

حذرهم ويتحققوا بالاعتبار والوقاية والهداية . « فالمسلمون ليسوا بدعا فى الحياة، والنواميس التى تحكم الحياة جارية لا تتحقق ، والأمور لا تمضى جزافا ، إنما هى تتبع هذه النواميس ، فإذا هم درسوها وأدركوا مغازيها تكشفت لهم الحكمة من وراء هذه الأحداث ، وتبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع ، واطمأنوا إلى ثبات النظام الذى تتبعه الأحداث ، وإلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام ، واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان فى ماضى الطريق ، ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين لينالوا النصر والتمكين بدون الأخذ بالأسباب المحققة للنصر، وفى أولها طاعة الله وطاعة رسوله »[1] : ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [ آل عمران : ١٣٦] ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ [ إبراهيم : ٤٥ ] .

إنه ربط بين ماضى البشرية وحاضرها وإشارة من خلال هذا الربط إلى المستقبل ، فالأرض كلها وحدة ومسرح للحياة البشرية . والأرض والحياة إنما هما كتاب مفتوح تتملاه الأبصار والبصائر : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ ق : ٣٦ ـ ٣٧ ] .

إنما الحكمة الهادية لا يستشرفها إلا القلب المؤمن المفتوح للهدى ، والعظة البالغة لا ينتفع بها إلا القلب التقى الذى يخفق لها ويتحرك بها . وهما اللذان يشرحان القلب للهدى والنور والموعظة والعبرة ، ويزينان له اختيار الهدى والنور والانتفاع بالموعظة والعبرة ، قال الله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [ الحج : ٤٦ ] .

إن مصارع الغابرين حيال المرء شاخصة تتحدث بالعبر ، وتنطق بالعظات وتتكلم بلسانها البليغ ، وتحدثه بما تنطوى عليه من عبر ليدرك بقلبه ما وراء هذه

(١) فى ظلال القرآن ٤/ ٦٧٨ .

الآثار الدوارس من سنة لا تتخلف ولا تتبدل ويسمع بأذنه أحاديث الأحياء عن تلك الدور المهدمة ، والآبار المعطلة والقصور الموحشة ولو كانت القلوب مبصرة لجاشت بالذكرى وجاشت بالعبرة وجنحت إلى الإيمان خشية العاقبة الماثلة فى مصارع الغابرين . هذه الخلائق التى غبرت فى تاريخ الحياة كلها إلى نهاية الرحلة ودخلت قبورا لا تحصى ، والتى تعاقبت فى هذه القبور موتى كما يقول المعرى:

رب قبر قد صار قبراً مرارًا ضاحك من تزاحم الأضداد

ودفين على بقايا دفين فى طويل الآجال والآماد

« إن النظر فى آثار الغابرين يهز القلوب حتى قلوب المتجبرين ، ولحظات الاسترجاع الخيالى لحركاتهم وسكناتهم وخلجاتهم ، وتصورهم وهم أحياء يروحون فى هذه الأمكنة ويجيئون ، يخافون ويرجون يطمعون ويتطلعون . . ثم إذا هم ساكنون لا حس ولا حركة ، آثارهم خاوية ، طواهم الفناء ، وانطوت معهم مشاعرهم وعوالمهم وأفكارهم وحركاتهم وسكناتهم ودنياهم الماثلة للعيان ، والمستكنة فى الضمائر والمشاعر . . إن هذه التأملات لتهز القلب البشرى هزا مهما يكن جاسيا غافلا قاسيا » (١) .

وصدق بعضهم حين قال : « الدنيا إذا بقيت لها لم تبق لك » وأنشد :

تروح لنا الدنيا بغير الذى غدت وتحدث من بعد الأمور أمور

وتجرى الليالى باجتماع وفرقة وتطلع فيها أنجم وتغور

فمن ظن أن الدهر باق سروره فذاك محال لا يدوم سرور

عفا الله عمن سَيَّرَ الهم واحدًا وأيقن أن الدائرات تدور

وأنشد آخر :

يا راقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

وأنشد آخر:

(١) فى ظلال القرآن ١٣/ ٢٠٣٥ .

ومشيد دارا ليسكن داره سكن القبور وداره لم يسكن

وأنشد آخر :

يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يحدث كل ليلة

فالمؤمن إذا عمل عملا أو سلك طريقا ينبغى أن ينظر إلى نهايته ، وإذا ذَكَرَ أو ذُكِّرَ بما نال أسلافه فلا يستبعد أن يناله ما نالهم [١] ، « والعالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه »[٢] .

قال مجاهد : لكل عين أربع أعين ، يعنى لكل إنسان أربع أعين : عينان فى رأسه لدنياه ،وعيناه فى قلبه لآخرته،فإن عميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه فلم يضره عماه شيئا،وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه فلم ينفعه نظره شيئا[٣] .

ومن هذا التصور الواسع الرحيب يستمد المؤمن موازين جديدة حقيقية للأشياء والأحداث والأشخاص والقيم والاهتمامات والغايات ، ويرى دوره الحقيقى فى هذا الوجود ، ومهمته الحقيقية فى هذه الحياة ، بوصفه قَدَرًا من أقدار الله فى الكون يوجهه ليحقق به ويحقق فيه ما يشاء ، ويمضى فى رحلته على هذا الكوكب ثابت الخطو ، مكشوف البصيرة مأنوس الضمير . . مطمئن النفس ، مرتاح القلب لما يجرى حوله ولما يقع له . فهو يعرف من أين جاء ؟ ولماذا جاء ؟ وإلى أين يذهب ؟ وما هو واجد هناك ؟ وقد علم أن الدنيا مزرعة للآخرة ، وأنه مجزى على الصغيرة والكبيرة ، وأنه لم يخلق عبثا . ولن يترك سدى ولن يمضى مفردا .

« ومن هذه المعرفة تختفى مشاعر القلق والشك والحيرة الناشئة عن عدم معرفة المنشأ والمصير ، وعدم الثقة بالحكمة التى تكمن وراء مجيئه وذهابه . فالمؤمن يعرف - بقلب مطمئن - أنه يلبس ثوب العمر بقدر الله الذى يصرف الوجود كله تصريف الحكيم الخبير . وأن اليد التى ألبسته إياه أحكم منه وأرحم . . وأنه يلبسه لأداء دور معين فى هذا الكون ، يتأثر بكل ما فيه ويؤثر فى كل ما فيه . وأن هذا الدور يتناسق مع جميع الأدوار التى يقوم بها كل كائن من الأشياء والأحياء منذ البدء حتى المصير » [٤] .

---

(١) فى ظلال القرآن ١٣/ ٢٠٣٥ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٢٩ .
(٣) المرجع السابق ١٢/ ٥٢ .
(٤) فى ظلال القرآن ٢٦/ ٣٣٥٢ .

المؤمن يعرف أنه ليس هناك جهد غبين ، وكل جهد مجزى به ، وكل تعب مثمر والمصير مُرْض لأنه بين يدى عادل رحيم ، والكون لا يقف بائسا لأن له روحا تؤمن بربها ، وتتجه إليه وتسبح بحمده .

إن هذا الكون بذاته كتاب مفتوح يحمل بذاته دلائل الإيمان وآياته ، ويوحى بأن وراء هذه الحياة الدنيا آخرة وحسابا وجزاء . « وهذه الحقيقة تمثل أحد مقومات التصور الإسلامى عن « الكون » . والصلة الوثيقة بينه وبين فطرة « الإنسان » ، والتفاهم الداخلى الوثيق بين فطرة الكون وفطرة الإنسان ، ودلالة هذا الكون بذاته على خالقه من جهة وعلى الناموس الذى يصرفه وما يصاحبه من « غاية » و«حكمة » و « قصد » من جهة أخرى . وهى ذات أهمية بالغة فى تقرير موقف «الإنسان » من « الكون » و « إله » الكون سبحانه وتعالى . فهى ركيزة من ركائز التصور الإسلامى للوجود » [١] .

فمشهد السموات والأرض ، ومشهد اختلاف الليل والنهار ، لو فتحنا له بصائرنا وقلوبنا وإدراكنا ، لو تلقيناه كمشهد جديد تتفتح عليه العيون أول مرة ، لو استنقذنا حسًّنا من هموده الإلف وخمود التكرار لارتعشت له رؤانا ولاهتزت له مشاعرنا ولأحسسنا أن وراء ما فيه من تناسق لابد من يد تنسق ، ووراء ما فيه من نظام لابد من عقل يدبر ، ووراء ما فيه من إحكام لابد من ناموس لا يتخلف ، وأن هذا كله لا يمكن أن يكون خداعا ولا يمكن أن يكون جزافًا ، ولا يمكن أن يكون باطلا » [٢] .

« ومشهد تعاقب النور والظلام . . وتوالى الإشراق والعتمة ، ذلك الفجر وذلك الغروب هذه الأبعاد الهائلة والاجرام الضخمة ، والآفاق المسحورة ، والعوالم المجهولة . . هذا التناسق فى مواقعها وجريانها فى ذلك الفضاء الهائل دون أن يعرف الإنسان شيئا عن حقيقة أبعادها وأحجامها وأسرارها ما عدا ما يكشف الله للبشر من بعضها حينما تنمو مداركهم ، وتسعفهم أبحاث العلوم . . هذا الملك وذاك الملكوت كم اهتزت لهما مشاعر . . وكم وجفت لهما قلوب ، وكم كانا أعجوبة الأعاجيب . . ثم فقد الإنسان روعة هذا كله مع التكرار ، إلا القلب المؤمن الذى تتجدد فى حسه هذه المشاهد ، ويظل أبدا يذكر يد الله فيها

(١) خصائص التصور الاسلامى .
(٢) فى ظلال القرآن ٤/ ٥٤٥ .

فيتلقاها فى كل مرة بروعة الخلق الجديد .

« ثم تلك الرياح المتحولة من وجهة إلى وجهة ، وذلك السحاب المحمول على الهواء المسخر بين السماء والأرض الخاضع للناموس الذى أودعه الخالق هذا الوجود . . إن السر الأعمق هو سر هذه الأسباب . . سر هذه الموافقات التى لو اختلت واحدة منها ما نشأت الحياة أو ما سارت هذه السيرة . . سر التدبير الدقيق الذى يشى بالقصد والاختيار كما يشى بوحدة التصميم ورحمة التدبير » (١) .

« نعم لو ألقى الإنسان عن عقله بلادة الألفة والغفلة ، فاستقبل مشاهد الكون بحس متجدد ، ونظرة مستطلعة وقلب نوره الإيمان ، ولو سار فى هذا الكون كالرائد الذى يهبط إليه أول مرة تلفت عينه كل ومضة ، وتلفت كل نامة وتلفت حسه كل حركة ، وتهز كيانه تلك الأعاجيب التى ما تتوالى على الأبصار والقلوب والمشاعر (٢) .

لو فعل ذلك لشعر بنعمة الله فى كل شىء حوله ، ورأى فى كل ذرة فى الأرض أو فى السماء منحة من الله له ، تيسر له معيشته ، وتعينه على القيام برسالته فى الحياة . . ورأى نعمة الله فى هبة الريح وسير السحاب ، وتفجر الأنهار، وبزوغ الشمس ،وطلوع الفجر ، وضياء النهار ، وظلام الليل ، وتسخير الدواب وإنبات النبات . وقد كان رسول الله ﷺ أشد الناس إحساسا بنعمة الله وفضله ، فى كل شؤونه ولذا تراه إذا تناول طعامه ـ وإن كان من خشن الخبز وجاف الشعير ـ يتناوله تناول الراضى الشاكر ، ويقول فى ختام الطعام : « الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » . وإذا شرب الماء القراح قال : « الحمد لله الذى جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحًا أجاجا بذنوبنا » .وإذا اكتسى ثوبا أو عمامة أو نحو ذلك قال : « الحمد لله الذى كسانى هذا . ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة ، اللهم إنى أسألك من خيره وخير ما هو له». وكذلك إذا نام أو استيقظ أو سافر أو جاهد أو جامع ، أو أصابه حزن أو فرح ، فهذا هو شعور المؤمن دائما ، شعور الذاكر لنعمة الله ، الشاكر لفضل الله : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [ النحل : ٥٣ ] وهذا هو شعور الذى لا يأمن من مكر الله على كل حال: ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [ الأعراف : ٩٩ ] .

(١ ، ٢) فى ظلال القرآن ٢/ ١٣٥ .

أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك فى وجهه وأقبل وأدبر ، فإذا مَطَرَتْ سُر به وذهب عنه ذلك . قالت عائشة : فسألته فقال : « إنى خشيت أن يكون عذاب سلط على أمتى » وفى رواية قال : «لعله يا عائشة كما قال قوم عاد : ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا** ﴾ [الأحقاف: ٢٤] (١) . فالفرار إلى الله أدب العارف أبدا والإقبال على الله بالتسبيح والصلاة والعبادة هو أدب العارف إذا ضايقه من الخلق كلام أو تصرف ، والفرار إلى علم الله بالإنسان مطلب فذلك يجعله يتوب إن كان ظالما ، ويسلم أمره إن كان مظلوما . فيا أيها السالك طريق العباقرة : ابحث عن العلم النافع وَفِر إلى علم الله بك إذا ادلهمت عليك الأمور ، وإياك أن تغفل عن الله فلازم الذكر والإقبال على الله فى كل حال ، فإذا اجتمع لك ذلك فأنت أنت.

**رابعا : السبق الى الكمال والتسابق الى الخيرات :**

اعلم ـ تولى الله رشدك ـ أن فوق الصلاح والصالحين ، وفوق البر والأبرار درجات هى درجات السابقين المقربين ، والصديقين الربانيين ، الذين قال فيهم الله تعالى : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ [ الواقعة : ١٠ ـ ١١ ] . ووصفهم بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ [ المؤمنون : ٥٧ ـ ٦١ ] .

إن الآيات البينات تتحدث عن دقائق فى الأعمال وحقائق فى الأحوال يحتاجها السالك كما أنها تنهض بالهمة نحو مقامات الصديقين والصالحين والعارفين والربانيين، وتحث على الرغبة فى الكمال ، وعلى السير فى طريقه وعلى التعامل الخاشع المخلص مع الله عز وجل ، والناس فى هذا متفاوتون ، وليس السالكون إلى الله سواء ، وأفضلهم الذى لا يتساهل بالصغيرة والكبيرة . يهتم بالفرائض والواجبات والسنن والآداب والذوقيات والمروءات والأريحيات ، ويحذر من الصغائر والكبائر ،

(١) الجامع لاحكام القرآن ٢ / ١٣٥ .

من هنا يطالب السالك طريق العبقرية بترتيب الأوراد اليومية كل حسب ما يطيق من الصلوات والأذكار وتلاوة القرآن والعلم والمطالعة والقيام بالحقوق ، وهذا العمل يستهدف أساسا زيادة العلم بالله وزيادة الخشية وهذا الأمر ليس عقليا فكريا نظريا فحسب بل الجانب القلبى فيه مطلوب ومقصود وحول هذا يُدندن العارفون . مع العلم أن بعض القلوب تعاقب بنزع بعض الأخلاق منها وأحيانا بنزع الإيمان : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [ الصف : ٥ ] . وقال أبو عطاء الله : « إذا أراد الله بقوم سوءا نزع الرحمة من قلوبهم » (١) ومن هاهنا كان أهل السير إلى الله ساهرين على قلوبهم .

وما دمنا بصدد الحديث عن السهر على القلب ، لا ننسى فكرة الحب القلبى لرسول الله ﷺ باتباع سنته وجميع أحواله . . . فى لباسه وطريقة أكله وشربه ، وفى إعفائه للحيته ووضع العمامة على رأسه مع العلم أن الأمر فيه سعة ولكن السنة هى الكمال فعلينا أن نحرص على هيئة رسول الله ﷺ وزيه ولا يكون ذلك إلا بكثرة الذكر ، فالله عز وجل ربط بين الاقتداء برسول الله ﷺ وبين الذكر الكثير فقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [ الأحزاب : ٢١ ] . وقال النبى ﷺ : « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » .

وقد حاول القشيرى رحمه الله فى رسالته أن يتحدث عن منازل الصديقين فى الأعمال والتسابق إلى الخيرات ،وعن منازلهم فى الأحوال والمقامات ، وقد ذكر منازل الأعمال فيما يلى :

« التوبة والمجاهدة والخلوة والعزلة والتقوى والورع والزهد والصمت والجوع وترك الشهوات ، والتواضع ، ومخالفة النفس ، وترك الحسد ، والغيبة ، والتحقق بالقناعة ، والحزن والشكر ، والصبر ، والمراقبة والرضى ، والعبودية ، والإرادة والخلق والجود ، والسخاء ، والغيرة لله ، والدعاء والافتقار إلى الله ، والأدب فى السفر ، والصحبة والسماع ، والتحقق بالتوحيد ، والمعرفة لله ، وحفظ قلوب

(١) شهيد المحراب .

المشايخ ، ومراعاة أدب الوقت والقيام بالفرائض والواجبات والالتزام بالسنن . . . وذكر فى ثنايا كلامه أشياء أخرى كثيرة ، كما ذكر رحمه الله فى منازل المقامات القلبية والأحوال الشريفة التى تستتبع الأعمال أن تكون من محض فضل الله عز وجل ما يلى :

« الولاية ، والفراسة ، والإخلاص ، والتوكل ، واليقين ، والرجاء ، والخوف، وتمييز الخواطر ، والشعور بالقرب . . . وغيرها من الأحوال والمقامات » (١) .

فكن ـ تولى الله رشدك ـ قائما بخدمة الحق ليل نهار ، واحمل الناس على دين الله والتربية والتزكية والمذاكرة ، وبحق إخوانك ، فالمريض عُدْهُ ، والميت اتبع جنازته وترحم عليه ، والمحتاج واسيه ، والفقير افْطن لحاله وطالب الزواج اسع لتزويجه ، ولب طلب صاحب الحاجة ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، ولا تقصر فى خدمة بيتك وحق عيالك وحقوق الخاصة والعامة ، وكن فى حاجة أخيك ولا تعتبر ذلك مضيعة للوقت ولا ملهاة عن العمل الجاد ، فلقد كان رسول الله ﷺ سيد الحريصين على الوقت ، ولكنه كان يقوم بكل ما تقتضيه الرعاية والعناية . ومن كانت هذه حالته كانت بدايته مشرفة ، وبالتالى نستطيع أن نستدل على نهايته بهذه البداية ، فإشراق البداية يظهر من خلال قوة الإقبال على الله فى البداية ، والقيام بمقتضيات السير إلى الله عز وجل بالإجتهاد فى طاعته وإرشاد عباده ونصيحتهم بإذن الله تعالى، وعندئذ سوف تسبق أنوار قلبك إلى الله باللجأ والافتقار إليه فى أن يتولى لك أمر قلوبهم بأن يجعل فيها أهلية واستعدادا لقبول ما تريد إيراده عليهم من كلام الحكم ، فإذا تكلمت به تلقته قلوبهم كما تتلقى الأرض الميتة وابل المطر ، فينتفعون بذلك أتم انتفاع . « فإذا كان القلب منورا اكتسى الكلام نوراً فلا تمجه الأسماع ولا تنكره القلوب فكسوته هو ذلك النور ، وكلام الحكماء يبرز مكسواً بكسوة الأنوار ، فتفتح به القلوب ، ويستجيبون لنداء حبيبهم » (٢) .

« واعلم أن من راقب الله تعالى فى خطرات قلبه عصمه الله فى حركات

(١) مذكرات فى منازل الصديقين والربانيين ص٧ .
(٢) الكلام للشيخ الشرقاوى ، انظر : مذكرات فى منازل الصديقين والربانيين ص٥٦٦ .

جوارحه ، ومن ألزم نفسه آداب الشريعة نور الله قلبه بنور المعرفة ومن علم طريق الحق سبحانه سهل عليه سلوكه ومن ضيع فريضة من فرائض الله تعالى ابتلاه الله بتضييع السنن ولم يبل أحد بتضييع السنن إلا أوشك أن يبتلى بالبدع ، ومن فكر بقلبه فى سوء ما يصنع وتاب إلى الله عن قبيح المعاملات أمده الله بتصحيح العزيمة، ومن ترك المعاصى وحل عن قلبه عقدة الإصرار وعزم على أن لا يعود إلى مثله أتم الله توبته ، وصدق مجاهدته » (١) . فما أقلق بال العارفين وقطع نياط قلوب العارفين إلا الخاتمة الحسنة . وإنما يغلب على القلب ـ بعد تثبيت الله ـ الحال اللازم للإنسان فى حياته ، فإذا كان حاله الدائم توبة نصوحًا وذِكْرًا ، ويقظة قلب ، ومراقبة، وتذكرا لليوم الآخر ، فالمرجو أن يكون ذلك هو الحال عند الموت وإلا فالخطر عظيم .

« وهاهنا يحرص أهل السلوك أن يجمعوا فى وردهم اليومى تذكر اليوم الآخر والذكر والمراقبة فيبدؤون وردهم بتذكر اليوم الآخر وتأمل الموت وما بعده ، ثم يذكرون الله بالورد الذى يذكرون به ، ثم يختمون وردهم بالمراقبة لله ومهما استطاعوا أن يكرروا ذلك يومهم وليلتهم فعلوا » (٢) .

عن ابن أبى مليكة رضي الله عنه قال :« أدركت ثلاثين من الصحابة قد شهدوا بدرا كلهم يخاف النفاق على نفسه ويأمن المكر على دينه ، ما منهم من أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل » (٣) .

وعن ابن عمر أخذ النبى ﷺ بمنكبى وقال : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وكان ابن عمر يقول : « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك » للبخارى والترمذى وزاد بعد « أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور ».

فاللهم يا من تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره

(١) من كلام العارفين بتصرف .
(٢) مذكرات فى منازل الصديقين والربانيين ص٣٢ .
(٣) للبخارى فى ترجمته .

الحوادث ولا يخشى الدوائر يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ، ولا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضا ، ولا بحر ما فى قعره ، ولا جبل ما فى وعره ، اجعل خير عُمُرِنا آخره وخير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم نلقاك (١) .

« اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وَفُجَاءَةِ نقمتك ، وجميع سخطك » (٢) .

(١) عن أنس فى الأوسط والدعاء للأعرابى، وقد سمع رسول الله هذا الدعاء منه فأثابه عليه .

(٢) رواه مسلم وأبو داود .